تشكيل

يستعد التشكيلي المغربي عبداللطيف الزين للمشاركة في تظاهرة «ترانس آرت» التي تجمع بين الموسيقى والرقص والألوان، من خلال عمل تجريدي مستلهم من فعل الانتشاء بالإيقاعات.

أعلن الجناح الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة عن تعيين حماد ناصر قيما فنيا لمعرض دولة الإمارات العربية المتحدة في الدورة الـ57 للمعرض الدولي للفنون في بينالي البندقية.

لونا معلوف تصوغ في لوحاتها مدينة قيد التشكل

● فنانة لبنانية ترسم مفهومي الزمان والمكان بسياق سينمائي

قد تعترض الفنانة اللبنانية لونا معلوف على عنوان هذا المقال والذي مفاده "صياغة لمدينة قيد التشكيل"، لأن مدينة بيروت التي تحبها، والتي لم تغادرها طوال سنوات الحرب، هي بالنسبة إليها حضور متكامل تعيشه الذاكرة، وتختبره اليوم من خلال مشاهداتها ومعايشتها له، غير أن أعمالها الحاضرة في صالة "آرت أون 56 ستريت" البيروتية ربما تخبر عن أكثر مما هو تصوير لمدينة تناولتها فنيا وعاطفيا في معرض تحت عنوان "حنين الغد".

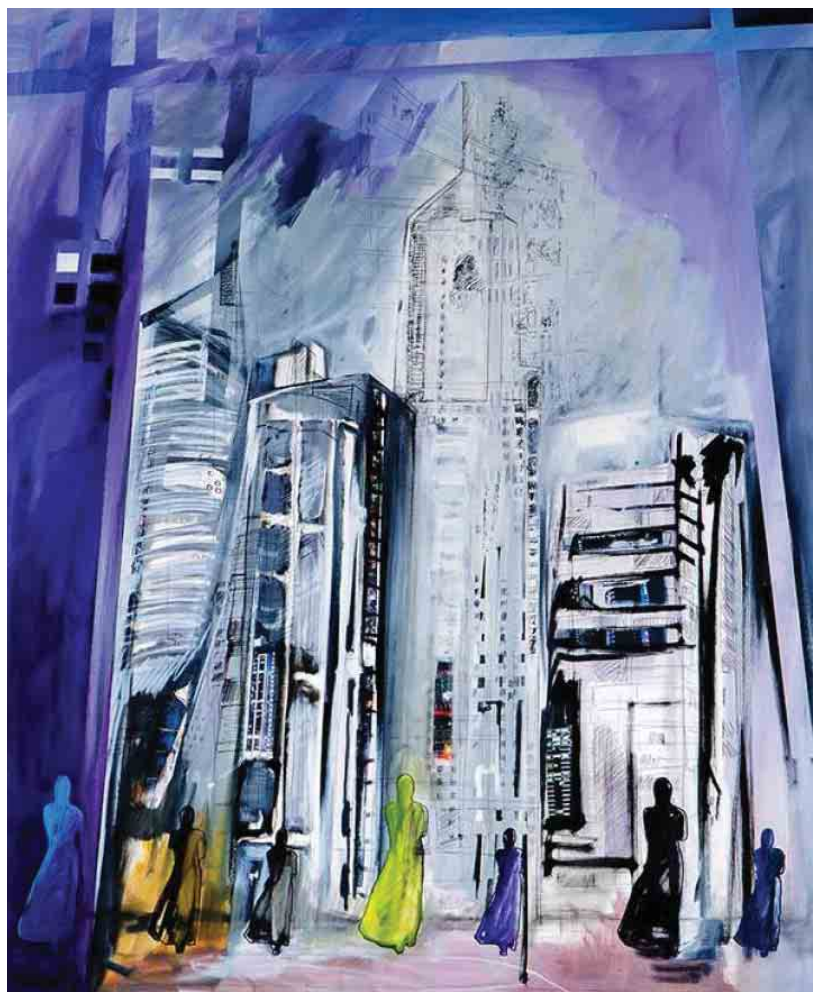

جمع بين عالمي الرسم والسينما

❑ بيروت – تمتلك الفنانة اللبنانية لونا معلوف تقنية عالية مكنتها من خوض غمار التشكيل من الباب العريض، تجلى في معظم لوحاتها المختلفة الأحجام والمشغولة بمواد مختلفة، حسّ لوني شفاف وقدرة على المزج ما بين مستويات الألوان وبراعة في تقديم مشاهد أو تفاصيل مدينية في تداخلها مع بعضها البعض تشكيليا إن من حيث الخطوط والأشكال، أو من حيث مدى عمق اللون وشفافيته.

عمق التقنية

سيلاحظ مشاهد معرض لونا معلوف المقام حاليا بصالة "آرت أون 56 ستريت" البيروتية والمعنون بـ"حنين الغد" حضورا لافتا للمرأة بشكل خاص وللإنسان والمدينة بشكل عام، وهو عنصر متفاعل معها وإن بدا للوهلة الأولى أنه مجرد متفرج على مشهد من مشاهدها الغزيرة.

ومن أكثر اللوحات التي تعبّر عن ذلك، اللوحة التي تصوّر فيها الفنانة رجلا يعتمر قبعة، ويجلس في الفراغ على حافة شرفة ما، رجلا أدار لنا ظهره وبدا منغمسا في تأمله لجانب من المدينة.

في هذه اللوحة بالذات برعت الفنانة باستجلاب المشهد المديني إلى ثنايا قميص الرجل وبشعرية كبيرة، حتى أن ثمة مشهدا لبحر (لا بد أن يكون البحر الأبيض المتوسط) وقارب يطوف على سطحه، قد انشح قميصه الأبيض بشفافية عالية، فلم يعد بإمكان الناظر إلى اللوحة أن يحدد ماهية المدينة: هل هي المنظور إليها، أم هي الرجل الناظر إليها؟ تحمل هذه اللوحة عنوان المعرض "حنين الغد".

وفي المعرض لوحة أخرى تسيطر على مرافقها امرأة جسدتها لونا معلوف ما بين تشكيل نوراني يخفي كآبة ما، وحضور طاغ شكلته مادية الألوان التي ستتساقط كقطرات من هيئتها.

> ◄ مشاهد معرض لونا معلوف سيلاحظ حضورا لافتا للمرأة بشكل خاص وللإنسان والمدينة بشكل عام

ظهرت المرأة في هذه اللوحة وكأنها محلول لونيّ لا يزال يبحث عن تجسيد واضح المعالم، وهذا بالرغم من أن عنوانها "استعادة" يحسم أي جدل حول عدم نهائية هيئة، أو نضوج المرأة، داخليا وخارجيا.

ما من أحد لا يقرّ بأن الشغف والموهبة الفنية لا يكفيان لكي يصل الفنان إلى مراتب عالية في التشكيل، التجربة والمُمارسة الفنية مهمتان أيضا، كذلك المعرفة في أصول الرسم والتلوين.

من الواضح أن لونا معلوف تمتلك جميع هذه العناصر التي تؤهلها إلى تطوير نصها التشكيلي أكثر فأكثر، يُذكر أن الفنانة هي ابنة الفنان والمنظر اللبناني ألفريد معلوف، ولكن ربما كونها أستاذة رسم وتصوير وفن معماري وطباعة على القماش في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة (ألبا)، ولمدة لا تقل عن 26 سنة جعلها في بعض اللوحات رهينة تلك الأكاديمية، لا سيما عند رسمها للمرأة العارية التي تظهر خارقة الانسياب والتعبير في لوحاتها.

قد يشعر المُشاهد في البعض من هذه اللوحات أنه أمام دراسة لجسد المرأة العاري، وفي مواضع أخرى يظهر "كولاج" هندسي لمنشآت هندسية تجعل المُشاهد يعير انتباهه إلى التقنية أكثر من انتباهه إلى الفكرة أو الشعور المُراد التعبير عنه.

الفيلم والغياب

لعل أبرز ما يميز نص لونا معلوف التشكيلي هو هذه القدرة على إظهار السياق الزمني والمكاني في لوحة واحدة، دون الحاجة إلى استخدام عناصر بديهية كاللون الأسود أو شكل القمر للتأكيد على أن المشهد، هو مشهد ليلي.

تتعدد اللوحات التي تعالج فيها الفنانة مفهومي الزمان والمكان بطريقة مُبتكرة تذكر بسياق سينمائي تتوالى فيه الصور والمشاهد جنبا إلى جنب في لوحة واحدة، نلمس في هذه الأعمال تمثيلا، لا بل تطبيقا ذكيا وشبه مباشر للتعليمات والتقنيات السينمائية من قبيل "تصوير" اللقطات الواسعة والضيقة واعتماد عدة وجهات نظر وتشكيل العمق "الإستراتيجي"، إذا صح التعبير لمزاج العمل الفني وما يريد أن يوحي به من قلق أو تساؤل، وغيرهما من المشاعر التي لا بد أن تكون عبرت سماء لونا معلوف دون أن تتجرأ على إبرازها كما هي: حقيقية وشخصية.

من الواضح أن الفنانة تعتمد المواربة والدوران حول ما تريد أن تعبر عنه فعلا وما تود أن تظهره للعيان فيأتي متخفيا خلف طبقات من ألوان شفافة، تقنية هي أيضا لا تنتمي فقط إلى عالم الرسم، بل أيضا إلى عالم السينما، حيث يستطيع المشهد الواحد أن يقود المشاهد إلى بعد أعمق حتى وإن كان شديد الظلمة والتكتم على أحواله.

ما تريد أن تعبر عنه الفنانة يظهر أحيانا في تفاصيل اللوحات وهو يئن "بصريا"، هنا أو هناك في مواضع من اللوحة طالبا من الفنانة أن تفك أسره ليخرج إلى الضوء، ربما ستشكل هذه التفاصيل منطلقا لأعمال آتية لها قد تود لونا معلوف أن تشتغل عليها.

المقاربة مع الفن السينمائي لا تنحصر في ما أوردنا ذكره، بل هي حاضرة بحضور تقنية التوليف أو "المونتاج" التي تعتمد عليها الفنانة في تشكيل اللوحة الواحدة، نذكر من هذه اللوحات لوحتين تحملان عنوان "مدينة العالم"؛ خطوط طول ذات إيقاع متفاوت تقطع ما بين أجزاء اللوحة، أجزاء تعيد فيها الفنانة مساءلة الزمن وإظهار الصلة الملتبسة ما بين الماضي، الحاضر والمستقبل، وأيضا ما بين الأمكنة الحميمية والأمكنة العامة التي يتشارك فيها الجميع، جميع من عاش ويعيش وسيعيش في مدينة بيروت.

تضيف الفنانة إلى هذا التقطيع الطولي الخاص بتقنية المونتاج السينمائي تقطيعا أفقيا يفعّل من ديناميكية الأعمال وفكرة تلاقي الأزمنة والأمكنة، كما تصبح الشفافية التي تتميز بها أعمال الفنانة نقطة التلاقي ما بين المشتهى والموجود، والأهم: بين ما قالته الفنانة في لوحاتها وما لم تقله.

* م.ع

«روزنامة» سجل بصري لأحوال المجتمع والسياسة

على واجهة مقر مؤسسة مدرار للفنون المعاصرة في القاهرة، تستقبلك صورة فوتوغرافية كبيرة ومألوفة لرجل مسنّ، ظهرت الصورة كجزء من الديكور المسرحي في مسرحية "المتزوجون" للفنان سمير غانم التي أنتجت في سبعينات القرن الماضي، وجه الرجل المسن ذو الملامح المميزة يبدو مألوفا وحميميا، يستدعي الوجه تلك الأحاسيس والمشاعر والخبرات المرتبطة برؤيته الأولى، هكذا تفعل الصورة حين تتداخل تفاصيلها في الذاكرة، لا يتوقف تأثيرها عند حدود اللحظة الراهنة، بل يتعداها في أحيان كثيرة، في عملية ذهنية معقدة تتخطى حدود الزمن.

ناهد خزام

❑ تعنى مؤسسة مدرار للفنون المعاصرة في القاهرة بالصورة الفنية تحديدا في كافة أشكالها، من فيديو وفوتوغرافيا ورسم وتصوير وغيرها من الوسائط الأخرى، ولتأكيد هذا الدور أطلقت مشروعها الطموح تحت عنوان "روزنامة" وهو مسابقة ومعرض سنوي للممارسات الفنية المعاصرة للشباب تحت سن الـ30 سنة، وتحتفي "روزنامة" هذه الأيام بدورتها الخامسة بعد أن ترسّخ دورها كإحدى أبرز الفعاليات التي تنظمها المؤسسات المستقلة في مصر والمتعلقة بالفنون البصرية.

تبرز المسابقة ذلك الدور الفاعل الذي تمثله تلك المؤسسات في دعم الحراك الثقافي المصري وقدرتها على التنظيم والاستمرار، فعلى مدار خمس سنوات استطاعت "روزنامة" التغلب على الكثير من العقبات التي واجهتها ومثلت فضاء حرا للعديد من المواهب الشابة لعرض الأفكار والتجريب والتفاعل مع الراهن السياسي والاجتماعي والثقافي عن طريق العديد من الممارسات الفنية غير التقليدية.

بين العديد من الصور الفوتوغرافية وأعمال الفيديو والمعالجات الغرافيكية وغيرها من الممارسات التي تحتفي بالتجريب، ألقت أجواء السياسة بظلالها على البعض من مضامين الأعمال وتوجهاتها، لتعكس حالة القلق والارتباك السائدة، حيث تجاوزت الأعمال محاولات التفسير أو رصد الحالة الراهنة، إلى نوع من التماهي مع حالة الضبابية والارتباك التي خيمت على المشهد المصري خلال السنوات الماضية.

ومن بين أعمال الفيديو المعروضة قدمت الفنانة إيمان حمدي عملا تحت عنوان "يقظة زائفة"، حيث يسجل الفيديو لحظات القلق والتوتر التي تعيشها فتاة لا تفعل شيئا سوى التأمل في صمت، حالة الاستسلام ومشاعر التوتر تسيطر على المشهد، في الفيديو الذي لا تتعدى مدة عرضه الخمس دقائق لتبدو الفتاة غير عابئة بما يحدث وغير مكترثة بمجريات الأحداث من حولها.

الفتاة هنا تشبه الملايين من الفتيات والشباب في مثل عمرها حول العالم، هؤلاء الذين كانوا يحلمون ويأملون في إحداث تغيير ما، غير أن الأحداث التي أعاقت مسار مجهوداتهم قد أصابتهم بالإحباط، فهل يستسلمون لإحباطاتهم تلك؟ هذا التساؤل يقفز من بين المشاهد ويرتسم كعلامة استفهام كبيرة لا تستطيع الإجابة عنها في الوقت الراهن في ظل حالة العداء والاستقطاب التي أصابت العديد من المجتمعات والدول التي شاركت في ما يعرف بالربيع العربي، حال الفتاة لا يختلف كثيرا عن أقرانها، فهي لا تستطيع الخلاص من ذلك الشعور المسيطر بالإحباط، وغير قادرة على لملمة أفكارها أو التعايش مع اللحظة الراهنة.

طرح لأسئلة ليست بحاجة لإجابات

ومن بين أعمال الفوتوغرافيا يبرز عمل الفنانة نورهان معيوف والمعروض تحت عنوان "حمّام منزلي"، وهو مكون من مجموعة من الصور الفوتوغرافية لتفاصيل تلك المساحة الصغيرة التي يشغلها حمّام منزل قديم ومتهالك، هذه التفاصيل القريبة التي نتعامل معها يوميا ولا نكترث لوجودها تمثل جزءا من الذاكرة البصرية الهامشية، وتستغرق التجربة في تلك الخبرات البصرية الذاتية والشخصية إلى حدّ الهوس، وبقدر ما يبدو عليه العمل من انفصال وتوحد، إلا أنه لا يفتقد إلى إشارات دالة، فذلك الاحتفاء الظاهر بالهامشي والشخصي يحفر عميقا في قلب الفضاء الاجتماعي والسياسي المحيط، هنا تتصارع رغبة التغيير مع الرُهاب منه، وتبرز حدة المواجهة بين الثابت بركاكته أو بخوفه والمتغير برعونته أو بجرأته.

يضم معرض "روزنامة" أعمالا متفاوتة المستوى من حيث التوظيف الجيد للخامات والأساليب والتعبير عن الأفكار، وكذلك الفهم الواعي لطبيعة العمل الفني كمنتج إبداعي معنيّ في الأساس بطرح الأسئلة وليس الإجابة أو تقديم حلول لها، هذا التفاوت في قيمة الأعمال هو أمر وارد في مثل هذه العروض الجماعية، غير أن التجربة في مجملها تمثل محاولة جادة ورائدة لخلق مناخ مناسب للنقاش والفهم الواعي لطبيعة الممارسات المعاصرة، وفرصة مواتية للأجيال الشابة التي تقف على مشارف العمل الإبداعي من أجل الانخراط في قلب التجربة.

ولع لا شفاء منه

ميموزا العراوي
ناقدة من لبنان

❑ يُفسّر مفهوم التناص بأنه "مُصطلح نقدي يُقصد به وجود تشابه بين نص وآخر أو بين عدة نصوص"، لا أعرف لأي مدى لا يزال ممكنا اعتبار هذا التعريف مُنصفا بحق كلمة تكاد اليوم تختصر كيفية العيش في هذا العالم، ولعل التجسيد البصري لهذا المفهوم بلغ أوجه، على الأقل بالنسبة إلي، في سلسلة من اللوحات للفنان أوديل رودون تحمل جميعها عنوان "مركبة أبولون".

اللوحة رسمها الفنان تأثرا بمشاهدته لجدارية للفنان دولاكروا تحمل الموضوع ذاته، وهو انتصار أبولون على الأفعى الأسطورية التي نشرت الموت في مدينة ديلف.

اختار الفنان التمعن بالمشاهد الداخلية/الإنسانية دون أي قيد أو شرط، وإذا كانت الأحصنة التي تجرّ مركبة أوبلون واضحة المعالم والمسار في لوحة الفنان دولاكروا، فهي في مجموعة الفنانِ رودون شبه متداخلة وبعضها يشف على بعضها الآخر.

الأهم من ذلك كله، وما يجعل هذه اللوحات تعبيرا بصريا عميقا عن مفهوم التناص، هو كون الأحصنة "المتشابهة" تركض في اتجاهات مختلفة، وهي بالرغم من ذلك قادرة "كمجموعة" على جرّ المركبة الذهبية بقيادة أبولون.

تجرّها مُدركة طريقها عميقا وبعيدا في زرقة السماء، تماما كنص أدبي متكامل يسير ثابتا على درب "صهيل" نصوصه الخفية التي تنبض تحت سطحه لتُشكل غناه المتمثل في شبكة من المعاني.

اختارت دار نشر فرنسية وضع إحدى هذه اللوحات على غلاف مؤلف أدبي ثوري للكاتب لوكونت موتريامون وهو "أغاني مالدورور"، فالفنان رودون تأثر بهذا المؤلف شأنه شأن العديد من الفنانين السرياليين والرمزيين.

اختيار هذه اللوحة دون غيرها من اللوحات لتواكب نصا تميز بسياقه السردي غير التقليدي، حيث تتعاقب الأفكار وكأنها تشكل طبقات مُضيفة إلى المعنى بعدا "غير طولي"، بل عمقيا ليشبه لوحة فنية ديجيتالية لها أبعاد ثلاثة، هو اختيار جعلني أجد في هذه اللوحة تمثيلا بصريا لمفهوم "تناص" معاصر.

لعل تأثري بهذا النوع من السرد، شجعني على القيام بمغامرة خطرة عندما أنتجت برنامجا تلفزيونيا بعنوان موارب هو "قصة لون".

تجربة وضعتني تحت مجهر المُساءلة، وبالتالي تحت خطر التوقف عن البث، اعتمدت على مبدأ التناص ما بين عدة وسائط سمعية وبصرية وكتابية لإيصال المعنى الذي غالبا ما نحا بعيدا "خارج النص" دون أن يكون قد خرج عنه فعلا، بل قدمه بسلسلة من الاشتراكات بدت أحيانا غرائبية، وكنت في أحيان كثيرة أعتمد على مونتاج ثوان منفصلة عن بعضها البعض لأقيم المعنى.

أقرّ مُبتسمة "لم تكن يوما 'قصة لون'، قصة اللون الأخضر أو غيره، بقدر ما كانت مَخرجا إلى عوالم 'تناصية' تلاقح فيها الشخصي بالعام".

ركضت وراء الأفكار والحوادث والتجارب المؤثرة التي حدثت أو لم تحدث أو تلك التي سعيت إلى حدوثها كفراشة دارت بشغف حول "المعنى" قبيل الاحتراق، احتراقي أو احتراقها، كنت أشعر بحلاوة التهديد الدائم، ولم يكن ذلك سوى محفز إضافي للمُضي أكثر فأكثر في المغامرة.

ربما ما شفع للبرنامج وجعله يستمر لمدة ثلاث سنوات أنه كان يُعرض في الفترة الصباحية، ما بين برامج الطبخ والعناية بالأطفال.

أعترف الآن وبعد مرور سنوات على هذا البرنامج بأنني بلغت أعلى قمم الخاص جدا في ذلك التناص اللذيذ "غير الآبه" بالنتائج، حينما قدمت حلقتين من ضمن الحلقات المخصصة للأحمر متوجهة فيها إلى شخص واحد دون غيره من البشر، وضربت عرض الحائط بمنطق "الماس ميديا" المتوجه إلى كل الناس، كم كانت الفرحة عارمة حينما اكتشفت أن ما تناولته لم يصل فقط إلى هدفه "السري"، بل بلغ العديد من المشاهدين الذين اتصلوا بي تقديرا لما قدمه البرنامج.

رُفع هذا البرنامج، على الأقل بالنسبة إلي، إلى مقام الأسطورة "الملعونة" عندما تعرضت محطة التلفزيون إلى الاعتداء، احترقت حلقات "قصة لون"، نجت منها بضع حلقات كنت قد نسختها "للذكرى"، هي نُسخ عن "الأصل".

هي الأصل في تكريس منطق العيش كإنسان أولا وكامرأة ثانيا في حياة لا يمكن إلا أن تكون تجربة وجودية شاملة مفتوحة على كل الاحتمالات، حتى تلك الأكثر جنونية.